Issue 6076 Thursday 28/6/2018
الزمان – السنة الحادية والعشرون العدد 6076 الخميس 14 من شوال 1439 هـ 28 من حزيران (يونيو) 2018 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/21 . UK

سلام عادل .. الدال والمدلول وما يمكث وما يزول

عبد الناصر يعيّن هويدي سفيراً في بغداد ويرد السعدي بتعيين البزاز نظيراً له في القاهرة

د. شعبان مع محسن الشيخ راضي في بغداد

القسم السابع

عبد الحسين شعبان
بيروت

مدخل شخصي

حين أكتب عن سلام عادل فثمة اعتبارات شخصية وعائلية، إضافة إلى علاقات شيوعية وسياسية، فكلانا ينتمي إلى النجف المدينة المعطاء والمركز الحضاري الثقافي المفتوح للعلم والأدب والفقه والدين والسياسة والتنوّع العرقي واللغوي على الرغم من طابعها العروبي وحفاظها على لغتها العربية السليمة.

وكان عمّي ضياء شعبان صديقاً لسلام عادل ويفتخر بصداقته، خصوصاً وأنه يعد نفسه من "أنصار السلام" لأنه وقّع على نداء ستوكهولم الشهير الذي استهلّه عالم الفيزياء الفرنسي فريدريك جوليو كوري في العام 1950 والذي وقّع عليه ما يزيد عن 273 مليون إنسان، والذي دعا إلى حظر الأسلحة الذرية.

وبعد ثورة 14 تموز (يوليو) العام 1958 وظهور سلام عادل إلى العلن، كان عمّي ضياء غالباً ما يحاول استثارة حفيظتنا بقوله :" إنني صديق سكرتير حزبكم" وأحياناً يمازحنا بقوله أنه سيشكونا عمّي شوقي وأنا إلى " أبو إيمان" إذا تأخّرنا في تلبية طلباته أو قصّرنا في تأدية واجباتنا المدرسية.

وبالعودة إلى حازم جواد بشأن "اللقاء" بسلام عادل فقد ذكر أنه تم برفقة طالب شبيب (وهذا يعني إن اللقاء حصل قبل سفر الوفد إلى القاهرة) حيث يقول أمين هويدي في كتابه (كنت سفيراً في العراق 1963-1965- الفرص الضائعة الوحدة العربية، تقديم خير الدين حسيب ، ط2، 2017، ص 18 وما بعدها) أنه تلقى مكالمة هاتفية قصيرة مفادها أن الرئيس جمال عبد الناصر عيّنه سفيراً في العراق، وذلك يوم 20 شباط ، وأن التعليمات التي صدرت له تقتضي أن يرافق وفداً عراقياً على مستوى عال سيصل القاهرة ظهر اليوم التالي لمشاركة الشعب المصري احتفالاته بأعياد الوحدة، وفعلا وصل الوفد في موعده في اليوم التالي: أي 21 شباط/فبراير.

وفي يوم 22 شباط (فبراير) بدأت المباحثات كما يذكر هويدي، وبعد الانتهاء من الجولة الأولى سافر الوفد إلى الجزائر للقاء الرئيس أحمد بن بلا وقادة الثورة الجزائرية وعاد مساء اليوم التالي، أي يوم 23 ، وعقدت الجولة الثانية للمباحثات في صباح يوم 25 شباط/ فبراير ويقول هويدي: وفي بداية الجلسة قدمني الرئيس جمال عبد الناصر للوفد العراقي بصفتي مرشحاً كسفير للجمهورية العربية المتحدة في بغداد، ووافق وزير الخارجية العراقي (طالب شبيب)على الترشيح بكلمات طيبة، ويقول عبد الستار الدوري إن علي صالح السعدي أجاب عبد الناصر، في حينها وفي دعوة لنقابة المحامين، إن سفيرنا في مصر سيكون "أستاذنا" عبد الرحمن البزاز.

وهذا يعني أن الوفد لم يعد إلى العراق قبل يوم 25، فإما أن يكون قد عاد مساء 25 شباط /فبراير أو يوم 26 شباط/فبراير (المصدر السابق أمين هويدي، ص 19 و20) وهذا يعني أن سلام عادل يكون قد فارق الحياة قبل يومين أو ثلاثة أيام على أقل تقدير وأن علي صالح السعدي لم يلتقه عند عودته ولا يتذكر الدوري أنه سأل السعدي إن كان قد التقى سلام عادل أم إن السعدي اكتفى باللقاء " التحقيق" الذي قام به حازم جواد، الأمر الذي أعرض عنه السعدي وكنت قد سألت صلاح عمر العلي: هل إن علي صالح السعدي التقى سلام عادل، فقال لم يطرق سمعي ذلك، وأغلب الظن ان، حازم جواد هو الذي التقاه، وأضاف إن مسؤوليات علي صالح السعدي كأمين للسر، فضلاً عن مزاجه كانت غير ذلك، في حين إن حازم جواد كان منشغلاً بأمور التنظيم والحزب وما يتعلق بأمنه أيضاً.

وحسب اعتقاد نوري عبد الرزاق إن الاحتمال الأرجح أن علي صالح السعدي لم يلتقِ سلام عادل وأنه لم يذكر ذلك أمامه مع العلم إن لسانه لم يكن معقوداً، وخصوصاً في السهرات الليلية.

حوار أم تحقيق؟

أما حكاية "الحوار- التحقيق" بين حازم جواد وسلام عادل فقد تم في غرفة مدحت ابراهيم جمعة وقد جرى الحديث التالي بينهما:

سأل السجّان للسجين : لماذا طلبتني؟

قال سلام عادل : للاحتجاج على التعذيب والمعاملة السيئة للمعتقلين.

يقول حازم جواد طلبت منه الاعتراف لينتهي التعذيب... قد بقي تحت التعذيب طيلة الأيام الأربعة أي من يوم 19 ولغاية 23 حيث استشهد، فهذا يعني أن الوفد كان لا يزال موجوداً في القاهرة ولم يعد إلى بغداد، وهكذا يستدل على أن علي صالح السعدي يمكن أن يكون قد التقاه قبل سفره ولكنه لم يخبر الدوري، لكنّ حازم جواد يؤكد في مقابلته مع غسان دمشق في الثمانينات) أنه كان ضمن طاقم الحرس القومي في مديرية الأمن العام ببغداد مع مجموعة من العرب والفلسطينيين، وفي

مع إياد علاوي وصلاح عمر العلي

وليس مع السعدي، مع ملاحظة مهمة هي أن سلام عادل لم يعتقل في الأمن العام. وتمضي الرواية المنشورة في المشرق فتقول : إن سلام عادل أجاب السعدي بتعجّب وبكلمات متقطعة ولكنها مفهومة وواضحة: أنت سكرتير حزب وتطلب مني الاعتراف؟... ثم سكت للحظات وبدا وكأنه يستجمع قواه، ثم فجأة بصق بوجه السعدي بصقة يخالطها الدم... وبعد أن مسح السعدي البصقة أشار إلينا بأن أجهزوا عليه وهذا ما حصل. وتقول الرواية أنه تم فقأ عينيه وكسر عظامه وقطع أصابع يديه ومن ثم ذبحه. وهناك رواية شفوية أخرى تصب بالاتجاه ذاته وتزيد عليه بأنه تم سحق جسده بسيارة ثم ذوّب بالأسيد.

وبغض النظر عن الروايات المتناقضة والمتضاربة فإن المؤكد بالنسبة لي هو ما قاله حازم جواد في مقابلة له مع غسان شربل في العام 2004 المنشورة في جريدة الحياة والتي صدرت كجزء من كتاب بعنوان : العراق بالذنب حين يقول: وحاولنا قهره ولكن طاقته على الصمود والتماسك كانت لا توصف وجاءتنا الأوامر بالإبقاء على الرجل لأن شخصية مهمة في طريقها إلينا ولم تكن تلك سوى علي صالح السعدي الذي حين وصل حاول أن يقرّب فمه من سلام عادل وقال له : أنت منتهٍ وليس عليك إلاّ الاعتراف وكرّر ذلك عدّة مرّات. لكن الدوري يعتقد إن ذلك قد يكون حصل مع حازم جواد

مع عزيز الحاج وكاظم حبيب وصلاح بدر الدين.

فترة النهار وصلنا ضيف أقمنا له "وليمة دسمة" كما يقول تضمنت صنوف التعذيب والهتك الجسدي والنفسي على مدى ساعات، ولم يكن الضيف سوى سلام عادل .

وتمضي الرواية وهي تستعيد الواقعة تلك وإنْ بمشاعر مختلفة وربما بشعور

ثم سألته هل من دولة لا تمارس التعذيب فحتى الاتحاد السوفييتي يقوم بذلك؟ ثم أعطونا المعلومات وتفاصيل الخط العسكري للحزب لينتهي الأمر وخاطب جواد، سلام عادل: الأمر بيدك!!.

لم يردّ سلام عادل على مقترح جواد، وطلب منه إصدار بيان سياسي مشترك يؤكد الحفاظ على سيادة الدولة والاستقلال الوطني والعمل الوطني المشترك ونسيان الماضي، ولكن حازم جواد يقول: لاحظت أنه يريد أن يكسب الوقت، وقلت له " أنت سجين وأنا السجان" وأنصحك بإعطاء معلومات وما لديك وبعدها نبحث في اقتراحك.

توقّفتُ عند رواية حازم جواد وتواريخها واكتشفت أنها غير متجانسة أو منسجمة، فإذا كان علي صالح السعدي في مصر فمعنى ذلك أن طالب شبيب كان معه، فهل يمكن أن يكون شبيب قد حضر اللقاء ولم يحضر السعدي؟ وإذا كان سلام عادل قادة الحزب الشيوعي قد ماتوا!! فغطينا نحن مع الأسف ذلك بقرارات رسمية (هكذا بكل بساطة ماتوا!!) (انظر: كتاب علي كريم – عراق 8 شباط 1963 من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، مراجعات في ذاكرة طالب شبيب، مصدر سابق، ص 199).

تشويه مقصود

وبالعودة للقاء الأول الذي يذكره حازم جواد فقد حاول أن يقلل من قيمة سلام عادل وقال أنه لم يشعر إزاءه بالاحترام، ثم برر ذلك ربما لأنه كان مكسور الجناح وسجيناً، لكن طالب شبيب قال للباحث: إن سلام عادل كان متماسكاً وبدا صلباً رغم ما تعرّض له من تعذيب ورغم الأجواء التي أحيط بها، وتعامل بكبرياء القائد وليس بمنطق من خارت عزيمته.

ومع كل ما تعرّض له سلام عادل فقد كان ذهنه يقظاً ووطنيته فائضة حين طالب حازم جواد وهو في هذا الوضع كجزء من تحدّيه للانقلابيين الحفاظ على الاستقلال الوطني والسيادة الوطنية والوقوف ضد القوى الاستعمارية، وتلك معايير للوطنية التي ردّ بها سلام عادل خلال التحقيق معه ومطالبته بكشف الأسرار الحزبية. ولم تسفر جلسة "التحقيق" تلك عن شيء، لكن حازم جواد ينسب إلى سلام عادل أن قدّم 3 نصائح للانقلابيين وسلطتهم الفاشية وهي: عليكم عدم تأميم النفط من حرب الى حرب – صدام مرّ من هنا، (دار رياض الريس ، بيروت ، 2009) إنه التقى سلام عادل ودار بينهما "حديث"، وقد أسميته "تحقيقاً" وليس حواراً، وقد عبّر عنه حازم جواد نفسه حين خاطب سلام عادل مذكّراً إياه إنما يجري بينهما إنما هو علاقة " سجين بسجّان" وقد نفت ثمينة ناجي يوسف (أرملة سلام عادل) بشدّة ما ورد من افتراءات وإساءات حازم جواد لسلام عادل في ردها المنشور في جريدة الحياة بتاريخ 28 شباط/ فبراير/2004 وقد نفى زكي خيري في مذكراته "صدى السنين في ذاكرة شيوعي عراقي مخضرم "، مركز الحرف العربي، السويد، ط2، 1996، وج 2 طبعة خاصة في السويد ، إعداد سعاد خيري الحديث عن "حوار" أو " لقاء" أو استعداد لذلك من جانب سلام عادل.

وكما ذكر محسن الشيخ راضي للباحث ، وهو المسؤول الأول عن الهيئة التحقيقية، "المكتب الخاص" إن ما سمّي "لقاء" بين حازم جواد وسلام عادل هو بمثابة تحقيق وهو بين طرفين غير متكافئين أحدهما معتقل والآخر بيده السلطة، وهذا يعني أن التحقيق الأساسي مع سلام عادل أجراه حازم جواد، بل أنه كان هنالك أكثر من جلسة ومنها أن "لقاء ثانياً" وربما "اللقاء" الأخير مع سلام عادل هو ما يذكره محسن الشيخ راضي الذي شاهد سلام عادل وهو بانتظار مقابلة حازم جواد، ولكنه كما نقل لي كان قد شارف على الموت أو في ساعاته الأخيرة قبل أن يلفظ أنفاسه.

وحسب رأي طالب شبيب: ما قيمة الحوار الذي دار إذا كان الأمر قد انتهى بموت هؤلاء " خطأ وجهلاً" وقد تقدّم الطبيب صادق حميد علوش ليقرر كطبيب شرعي: أنهم ماتوا بالسكتة القلبية لأنهم ظلّوا حتى الصباح معلّقين وأرجلهم مرتفعة عن الأرض قليلاً. وقد أُبلغنا في صباح أحد الأيام بأن وعدم المضي لعقد الوحدة مع مصر وعدم السير في طريق الإصلاح الزراعي، وحين ينقل حازم جواد تلك النصائح فإنما ينقلها مقطوعة عن أية مقدمات أو دلالات ولا ندري كيف وردت وتحت أي صيغة؟ لكننا نستطيع أن نخمّن أن الهدف منها هو الإساءة إلى سلام عادل حين يشكّك به بقوله: "أهو عميل بريطاني؟"..

جدير بالذكر إن ما حصل لإيران حين أممت النفط في عهد الدكتور محمد مصدق ظلّ هاجساً لدى بعض الشيوعيين، حيث ساهمت المخابرات المركزية الأمريكية سي أي ايه بتنظيم انقلاب للإطاحة بمصدق وإعادة شاه إيران محمد رضا بهلوي إلى السلطة وكان ذلك في العام 1953. ربما حاول حازم جواد الانتقاص من موقف الحزب الشيوعي من التأميم انطلاقاً من هذه المعلومة، لاسيّما مما أشيع عن موقف زكي خيري الذي كان من أشد معارضي تأميم النفط كما يقول ابراهيم علاوي وكان قد جاء في تصريح له إن الحزب يدعو إلى فرض رقابة صارمة على شركات النفط" وهو موقف أثير حوله لغط كثير وغمز مستمر (انظر: جريدة الديلي تلغراف البريطانية، 20 نيسان/ابريل/1959) في حين كانت تصريحات سلام عادل في 30 آذار/مارس/1959 وقبله تحركات ابراهيم كبه وزير الاقتصاد قد أثارت مخاوف احتكارات النفط العالمية، وقد جاءت متساوقة مع موقف عبد الكريم قاسم (انظر: نجم محمود، المقايضة ، مرجع سابق، ص 182 وما بعدها).

وكان زكي خيري قد نفى أي توجه للحزب لتأميم النفط العراقي بشكل كلّي أو جزئي، ويعتقد زكي خيري وهذا اجتهاده أن مهمة تأميم النفط تخرج من مهمات الثورة الوطنية وتدخل في مهمات الثورة الاشتراكية ويعلق ابراهيم علاوي على هذه الجزئية بقوله " وهذا تخريج طريف في بلادته" ويذكر بتأميمات حصلت في المكسيك وإيران ومصر لمصالح أجنبية (انظر: نجم محمود (ابراهيم علاوي- المقايضة، مرجع سابق، ص 185).

سلام عادل